وحدها الناس من تكلمت..؟

محمد صادق الحسيني

● ليس هناك طفل أمريكي يتعلم شيئاً عما (تحت الحداثة) من دم وسلام عما لا يعرفه إلا الموتى عن أعضاء واشنطن السفلى عن مدينة نكن شتنكه وشعب كونوي الذي دفن عام ١٦٢٣ تحت عاصمة (إسرائيل الجديدة) في أول لقاء بين مستعمري فرجينيا الإنجليز الذين كانوا يزعمون أنهم (شعب الله المختار) وبين هؤلاء (الكنفانيين بالقوة وحتى الموت) يومها كانت هذه المدينة النهرية مقراً للزعيم (يتومكه) وشعبه وكان النهر يسمى باسمه ويشق مدينة اسمها (نكن شتنكه). هذا النهر الذي يشق الآن واشنطن ويفصل بين ولايتي (فرجينيا) و(ميرلاند) وتطل عليه المقاهي السياحية وشرفات (ووترجيت) ومبنى الكونجرس وجنرالات البنتاجون. كان قبل أن توجد كل هذه الأسماء مسبحاً لأطفال كونوي ومغتسلاً لصباياه ورياً لحقول الذرة وأشجار مثمرة لم تحلم بها فلسفة (هوراسيو).

(حين لفظت اسم مدينة نكن شتنكه لأول مرة ضحك الطبيب الهندي وقال: لا بأس أكنت ستلفظ اسم (واـ شنـ ـ غتن) بنفس الصعوبة لو أنها كانت هي المدينة المقبورة تحت (نكن شتنكه) أو لو أن أهلها أبيدوا وانمحوا من ذاكرة الانسانية كما أبيد أهل هذه المدينة).

هذا الكلام الذي قرأتموه أعلاه هو مقاطع من كتاب (تلمود العم سام) للكاتب والباحث الاجتماعي السوري الكبير منير العكش والذي يكشف فيه قصة قيام دولة الولايات المتحدة الأمريكية بالوثائق والأدلة والبراهين والأرقام التي تتكلم ألماً ودماً على حساب (١١٢ مليون إنسان هندي أحمر ينتمون إلى أكثر من ٤٠٠ ثقافة وأمة مطرودين من اللغات والألسنة والذكريات ورفوف المكتبات محرومين من فردوس الموت الانساني مسلوخين من أسمائهم وأرواحهم وتوابيتهم وأرحام أمهاتهم ـ يرقدون الآن بسلام دائم كما يرقد شعب كونوي مع عضويات الوحول والطمي والغفار تحت المدن والمزارع والحقول الآمنة التي كانت ذات يوم مدنهم ومزارعهم وحقولهم وملاعب وجودهم).

لكن زعيم هذه الأمة الهندية العظيمة تراه رغم ذلك واقفاً كالطود يدافع عن كل ذرة من تراب أو قطرة من ماء شعبه قبل أن يرحل كاتباً إلى (زعيم واشنطن الكبير الكبير) آنذاك.

كيف نستطيع أن نبيع أو نشتري السماء ودفء الأرض؟ كيف نبيع طلاقة الهواء؟ كيف نبيع حباب الماء؟ كل شبر من تراب هذه البلاد مقدس عند شعبي كل خيط من ورق الصنوبر كل شاطئ رملي كل مدى من الضباب في غياهب الأحراج كل حشرة تمتص أو قطن كله مقدس في ذاكرة شعبي وتجربته مع الحياة.

قد ينهزم الإنسان الأحمر أمام زحف الانسان الأبيض.. لكنا نرى رماد أبائنا مقدساً وقبورهم بقيعاً مقدساً وهكذا نرى الهضاب والأشجار.

إلى أن يقول مختتماً رسالته:

ولكن لماذا أبكي زوال شعبي؟ إن القبائل لا يصنعها إلا الرجال أما الرجال فيجيئون ويرحلون مثل أمواج البحر.. وحينما يزول آخر إنسان أحمر فوق الأرض ولا يبقى منه إلا ظلال سحابة تعبر البراري ستظل هذه الشطآن والغابات مسكونة بروح شعبي..

من يقرأ هذا الكتاب الوثائقي وقبله كتاب (حروب الإبادة) سرعان ما يكتشف ليس فقط سر العلاقة الحميمة بين إدارات واشنطن المختلفة على امتداد الخمسين سنة الماضية وبين الرابضين على صدر الشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية المحتلة من صناع القبور الجماعية والهولوكوست الفلسطيني، بل وسر انتشار القتل المنظم والمتجول في انحاء العراق المحتل على امتداد الستة عشر شهراً الماضية دون أن يتحرك طرف ضمير قادة الغرب العظيم!

بنفس الدم البارد الذي أبيدت فيه شعوب وأمم الهنود الحمر الـ٤٠٠ أصحاب الأرض الأمريكية الأصليين عمل الإسرائيليون ولا يزالون على تكرار ما قام به (الحجاج الانجليز الأوائل) في فلسطين المحتلة وبالطريقة نفسها فيحاولون اليوم في العراق الجريح والشهيد.

هذا ما تؤكده التقارير المتواترة التي تصل إلى أسماع من يهمه أن يسمع فعلاً عما يجري حقيقة فوق الأرض الفلسطينية وما يخطط له في العراق.

كل جيوش العالم تتدخل في العراق كل الشركات المتعددة الجنسية لها رأي فيما يجري في العراق بل لها قرار، عشرات بل مئات من الشركات الأمنية الخاصة التي تتوزع مسؤولية (عسكرة) فضاء المجتمع العراقي لها رأي وقرار في طريقة تأمين استقرار العراق وأمنه إلا العراقيين أنفسهم فإن من يتحرك منهم للمطالبة بأي حق سرعان ما ينعت بالخارج على القانون أو المتمرد على الشرعية أو المحرض على العنف والإرهاب!

تماماً كما يتم التعامل مع شعب بأكمله في فلسطين بجغرافيتها التاريخية على امتداد العقود الخمسة الماضية.

بالمقابل فإن غياباً كاملاً لمن يفترض أنهم يمثلون شعوب هذه المنطقة الحية من العالمين العربي والإسلامي بات مشهوداً على المسرح السياسي العالمي ما يبعث على التشاؤم والقلق وكأننا أمام حالة انقراض أو استمالة (أمة) جديدة يراد لها أن تضاف إلى الـ٤٠٠ أمة وشعب من أمم وشعوب الهنود الحمر.

في غزة كما في نابلس كما في الفلوجة كما في النجف تستمر حروب الإبادة المنظمة وليس هناك من هو قادر على فعل أي شيء يوقف هذا الزحف المنظم على حياة هذه الأمة، اللهم إلا أصوات العرض الوصفي والصحفي لما يجري من قبل من ينتظر منهم اتخاذ القرارات المصيرية، وليس التحول إلى ناقلي أخبار أو محللين صحفيين أو شهود عيان على الجريمة.

كل المرجعيات السياسية، كما كل المرجعيات الدينية، كما كل المرجعيات والنخب الفكرية سقطت في الامتحان، وحدها الناس من عامة (الفوغاء) هي التي تبدي أشكالاً من الممانعة الأولية والإبتدائية في محاولة لوقف (الانقراض) وحتى لا تتحول إلى أمة هندية مستحيلة!.

يتساءل العديدون بألم وفي منتهى الشفافية: كيف تسوغ لنفسها تلك المرجعيات السياسية والدينية والفكرية البقاء على عرش (الزعامة) في وقت سقطت فيه في الامتحان مرتين، مرة لأنها لم تتمكن من وقف الزحف الأجنبي المنظم على مناطق نفوذها ومرة أخرى عندما خذلت (رعيتها) تاركة إياها لوحدها تواجه مصيرها بقسوة وألم؟!

وإذا كانت تلك المرجعيات تعتقد أن بإمكانها البقاء محتفظة بنفوذها ولو على جدران وقبب مقدسة فقط، فإن التاريخ يقول عكس ذلك تماماً، حيث تؤكد كل التجارب الحية بأنه لا بقاء ولا استمرار ولا تواصل لنفوذ زعيم أو مرجعية سياسية أو دينية أو فكرية إلا بالناس وجمهور العامة الذين يشكلون العصب الأساسي لأية امبراطورية نفوذ. فبفضل هؤلاء الناس (الرعاع) (والبروليتاريا الرثة) وجمهور (العوام)، إنما صارت لكم كل تلك المكانة وبفضل أولئك، إنما وصلتم إلى ما وصلتم إليه وبفضل رائحة عرق تلك الجموع المتراصة المدافعة عن الدين والدولة والوطن إنما لا تزالون مستمرون في البقاء!.

هذا ما عرفته وتعلمته الدول والأمم الغازية من تجربتي (إسرائيل الجديدة) الأولى (وإسرائيل الجديدة) الثانية في كل من أراضي الهنود الحمر وأراضي الفلسطينيين.

لذلك تراهم يحاولون جاهدين استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ في محاولة لانجاح اكبر عملية تزوير في التاريخ حيث يصبح من خلالها صاحب الدار خارجاً على القانون ومتمرداً وإرهابياً!! فيما يصبح المحتل والغازي والمغتصب رافعاً لراية جيش الدفاع!! الإسرائيلي أو قوة تحرير العراق وراعي الاستقرار!! فهل تنهض مرجعياتنا من غفوتها قبل أن نتحول إلى أمة مدفونة تحت أنقاض واشنطن جديدة!!.

أولاد «بيت» الحرمان!

حسين جمال البكري

● إني أستغرب من حال ناس عندهم الملايين فلا يستفيدون منها غير القليل الذي لايُسمن ولا يُغني من جوع.

فهل الحرمان الذي يُكابدون هو قدرهم وأن فلوسهم في حقيقة أمرها ليست فلوسهم إنما يجمعونها ويحتفظون بها من أجل أن ينعم بها غيرهم، وللأسف في هذه الصورة المحزنة يتساوى فيها (الفقير والمليونير)..

● أعرف رجلاً قد أعطاه الله من فضله عقارات إلا أنه يسكن غرفة صغيرة وسخة وموحشة!! إذن مافائدة أن يكون عنده عمارة وبيوت و...!! وأعرف رجلاً عنده مال كثير بالملايين، إلا أنه بخيل جداً على نفسه وأهله.

فأولاده الصغار يعانون الحرمان والمجاعة ومن الوقوع في المحظور فملابسهم رثة وأجسامهم سوداء بسبب عدم الاستحمام. فقطعة الصابون نادراً ماتدخل بيتهم حتى الماء يحضرونه للبيت من حنفية المسجد!! وهم للأسف بلا جزم وبلا .....!!

أما أدوات وسندوتشات المدرسة فهي متوفرة لأنهم يسرقونها من تلاميذ المدرسة (غصباً وعنوة) وبالها من عيشة همّ ونكد وعذاب هذا رغم أن أباهم المليونير كان باستطاعته ودون تبذير أن يحولها إلى حياة مريحة وسعيدة.

● ذات يوم سرق أحد أولاده (جزمة) من مسجد وحين أحضرها معه إلى البيت، وبدلاً من أن يسأله أبوه: من أين لك هذه الجزمة ياولد؟ قال له: هذه الجزمة لي. أأحضرتها لي؟ أنت تحبني أوليس كذلك أعجبتني وغداً حاول .. حاول أن تحضر واحدة ثانية تناسب (أمك)!! .. أمك مسكينة وبتحبك!!!

التعداد.. مهمة وطنية للتنمية المستدامة

مهيوب الكمالي

■ التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت المزمع إجراؤه خلال شهر ديسمبر القادم يعول على نتائج الاحصائية الدقيقة وضع الخطط التنموية والخدمية اللازمة للنهوض الاقتصادي وحل الكثير من المشكلات الاجتماعية والوصول الى البيانات التي يحتاجها القطاع الاستثماري المحلي والاجنبي والتعرف على حجم العمالة في سوق العمل بدقة والمؤهلات العلمية والخبرات الفنية التي تملكها العمالة المحلية ونسبة أمكانية الاستفادة منها وإدراجها ضمن الخطط المستقبلية لإيجاد عمل لها في مختلف المجالات.

إن مهمة انجاح عملية التعداد ينبغي أن تضطلع بها كافة الجهات المعنية وتضافر جهود منظمات المجتمع المدني في المقدمة منها الأحزاب السياسية ووسائل الإعلام والصحف الحزبية والأهلية بتنظيم حملات توعوية تهدف إلى إشراك كافة أفراد المجتمع وتعاونهم في حصول العدادين على المعلومات الصحيحة دون اغفال.

فالمسئولية هنا وطنية لا تحتمل الإدلاء بمعلومات قاصرة للعدادين لأن الاخلال بالبيانات سينعكس سلباً على خطط التنمية البشرية والانمائية والأهداف المتوخاة من عملية التعداد وأهمها توفير قاعدة معلومات صحيحة عن السكان والمساكن والمنشآت.

إن مايقع على عاتق أفراد المجتمع من تعاون هو الإدلاء بالمعلومات الاحصائية بأمانة لتحديد حجم معدل النمو السكاني ومستوى الخصوبة المقدرة حالياً عند رقم عال حسب الدراسات الدولية ٣,٧ مولود لكل امرأة والتحديد الدقيق لهذا المعدل خلال التعداد القادم من شأنه ضبط مخرجاته وفقا للموارد المتاحة في البلاد.

ومن الملاحظ ان التشتت السكاني في القرى والمناطق النائية يعيق حالياً نجاح المشاريع التنموية لصعوبة معرفة حجم السكان في تلك المناطق مما يترتب عنه نقص في عدد المدارس والفصول الدراسية والمراكز الصحية وحتى شق الطرق وتوفير الخدمات الضرورية كالكهرباء والمياه ومشاريع الصرف الصحي.

ولذلك ستجلى عملية التعداد ببياناتها الصحيحة كل معوقات التنمية الاجتماعية والاقتصادية وستسهل وصول الخدمات الضرورية إلى كافة المناطق إضافة إلى التخطيط الحضاري للمدن وأماكن التجمعات السكانية المكثفة التي تحتاج الى مشاريع الصرف الصحي والمياه والكهرباء وغيرها.

وعلينا كأفراد في المجتمع أن نستوعب مسئوليتنا الوطنية في انجاح عملية التعداد ولا نترك الأمر على الجهاز المركزي للاحصاء طالما أن أهداف التعداد السكاني تتعلق بمستقبل أولادنا ومناطقنا ومدننا والتنمية المستدامة في عموم الوطن.

وعلينا أن نسابق الزمن للاشتراك في هذه المسئولية الوطنية لنرسم قاعدة بيانات مستحدثة يتحدد في سياقها بدقة حجم مستوى الفقر والبطالة السائدة في السوق ونسبة المنتجين الزراعيين وأماكن تركز الأمية بين صفوف وأفراد المجتمع ومعرفة أعداد مغتربينا في المهجر إضافة الى تحديد نسبة الأنشطة التجارية والاستثمارية وخارطة توزيعها والفرص المتاحة في المستقبل.

إن الوصول إلى هذه الغايات الكبيرة سيمكننا من الإجابة على تساؤلات هامة تدور في اذهاننا لمعرفة حجمنا في المناطق السكانية لدول المنطقة وما قطعناه من تقدم في المجالات الإنمائية ومشاريع البنية التحتية والخدمية وأين نحن في خارطة التحضر والتعليم قياساً على مانملكه من موارد بشرية ومادية ثم ما هو رصيدنا في عالم المعلومات والمؤهلات والخبرات ؟!

برامج التأهيل الهابطة.. «سوبر ستار» أنموذجاً

محمود النقيب

■ إن مجالات الإبداع كثيرة ولا تقتصر على مجال دون آخر، وعلى مر العصور نجد أن كثيراً من المجتمعات والحضارات، سواء القديمة أو الحديثة، في إطار صراعاتها مع الطبيعة وظروفها القاسية وتطويعها لخدمة الانسان من أجل البقاء، كان ذلك عن طريق إعمال العقل البشري الذي ميّز الله به الانسان عن غيره من الكائنات، وبدأ بوضع النظريات واكتشاف القواعد والقوانين العلمية في جميع مجالات العلوم والمعرفة تلبية للحاجة لأنها، دوماً، أم الاختراع.

ونتيجة لهذا استطاعت المجتمعات والدول أن تبني نفسها واقتصادها من خلال دعم الإبداع والعمل الجاد في بناء القدرات البشرية، وإعطاء مكانة رفيعة للعلماء والمبدعين وتهيئة مناخ ملائم يشجعهم على مواصلة وتطوير إبداعاتهم، وثمار ذلك لايعود بالفائدة على المبدع نفسه وإنما على المجتمع بأكمله، وكما هو حاصل فإن مجالات الإبداع متعددة منها مايتعلق بالجانب العلمي التطبيقي ومنها مايتعلق بالجوانب الأدبية والفنية، وهذه الأخيرة يجب أيضاً أن تعطى اهتماماً نظراً لأن الإبداع يجب أن يكون ضمن منظومة متكاملة.

والمتتبع للحضارة العربية والإسلامية، التي نحن جزء منها، يجد بأن المجتمع العربي والإسلامي اهتم اهتماماً بالغاً بالأدب والفن .. لكن رافق ذلك الاهتمام اهتمام أكبر في المجالات العلمية والتطبيقية الأخرى كعلوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء والرياضيات والهندسة، وازدهرت الحرف ونشأت الصناعات المختلفة، واستفادت جميع الحضارات الأخرى من مخرجات حضاراتنا وخاصة في الجوانب العلمية؛ واستطاعت الأمة العربية والإسلامية آنذاك أن تسود العالم عندما احترمت الإنسان واحترمت الوقت الذي لم يهدر إلا فيما ينفع ويفيد..

كان ذلك عندما كنا أمة ننتمي إلى الإسلام ونعمل بتعاليم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليس أمة مسخ كما هي عليه اليوم حيث أصبحنا في وضع لانحسد عليه!!

إن مادفعني لكتابة هذه السطور هو حال وواقع الأمة المعاصرة التي تهدر وقتها في شهوات زائفة وخاصة عندما يتعلق الأمر بفئة الشباب، فهل يعقل أن يهدر شباب هذه الأمة وقتهم وهم المعول عليهم بناء هذه الأمة، (٢٦) أسبوعاً من الوقت في دهاليز الغرف ... في اختلاط ومجون فيما يسمى برنامج «سوبر ستار» المكلف بإنتاج الفنانين والفنانات وكأنه لاينقص هذه الأمة إلا هذا، والشيء الأدهى والأمر أن هناك العديد من الشباب والشابات يتأثرون لخروج فنان أو فنانة من السباق الطويل الذي يمتد قرابة الثمانية أشهر، ويذرفون الدموع الغزيرة على ماذا ... لاندري؟!

إن الاحتفال الذي أحيته قناة المستقبل والذي جاء بعد منافسة طويلة ليلة الاثنين، إلا نتاجاً لما قد أصاب هذه الأمة من التبعية والنسيان وفقدان الأواصر والعلاقات الحميمية بين الجار وجاره والأخ وأخيه، ففي هذه الأمة، احتفالات تقام في جهة، وأنين وألم واعتصام عن الطعام في جهة أخرى، فإخواننا في فلسطين يعانون الأمرين، وإخواننا في العراق في حالة لايحسدون عليها .. أما مقدساتنا الإسلامية فحدّث ولا حرج .. وشباب الأمة الجريحة يتسابقون على الهواتف لا للسؤال عن أحوال إخوانهم ومعاناتهم وما يمكن أن يقدموه .. وإنما للتصويت لمن يجيد بجدارة فن الغناء بألوانه المختلفة وإن كان هناك جائعاً!!

نحن لسنا متحاملين على الفن والفنانين، ولكن أين الفن الراقي الذي يؤدي وظيفته ويسموا بذوق المجتمع .. إن الفن الذي نشاهده اليوم عبر الفضائيات والذي يعتمد على (الهز والإغراء) بالدرجة الأولى يمكن القول إن الوظيفة التي يؤديها هي إثارة الغرائز لدى شباب الأمة المنهكين عقلاً وجسداً وروحاً.

تخيلوا أنه لو أنفق ماتم إنفاقه في برنامج «سوبر ستار» في برامج مشابهة لمبدعين عرب من مختلف الدول العربية في مجال العلوم والتكنولوجيا تهدف إلى إتاحة الفرص لشباب هذه الأمة لإبراز قدراتهم الكامنة وحل المشاكل التقنية التي يواجهونها بهدف تطوير صناعتنا والاعتماد على الذات بدلاً من استيراد كل شيء من الخارج بما فيها التكنولوجيا لكان اسمى من أن تنفق الأموال في أصوات تتلاشى في الهواء وليس لها أصداء.

أعتقد جازماً بأن قرارنا ليس بأيدينا وأن من يوجه رغباتنا وإرادتنا ليس نحن وإنما هناك من له مصلحة في توجيهنا نحو كل مالايخدم مصالحنا ليس لشيء وإنما بغرض القضاء علينا بحيث نصبح أمة مستهلكة لاتمتلك قوت يومها، أمة غارقة في ملذاتها ونزواتها الشيطانية، وواقع الحال يؤكد فعلاً بأننا أمة مسلوبة الإرادة عطلنا حواسنا وأعطينا إجازة لعقولنا عن التفكير فيما لايفيد فكانت هذه هي النتيجة.

إن النتيجة والمصلحة النهائية التي جنيناها من برنامج (سوبر عار) هو أننا أهدرنا كثيراً من الوقت كان يجب أن يستثمر من قبل الشباب فيما يفيد، أضف إلى ذلك الخسائر المادية نتيجة اتصالات آلاف المراهقين والمراهقات، والأمر الأكثر خطورة هو ماحل بالأسرة العربية نتيجة الانشغال والانشداد المستمر في المتابعة والسهر.